مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين مثل من القصص القرآني

م.م.علاء حسين مكطوف الصبر
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

ملخص:
يجري الكلام على وفق سنن قواعدية واستعمالات تركيبية تحكمها الوظيفة النحوية بما يوفر للغة استعمالها الصحيح وللتركيب ملمح التناسق والانسجام، فليس ائتلاف المكونات العنصرية للتركيب ليجري على نحو الاعتباط وفقدان القصدية، بل الأمر تحكمه سلطة التناسق، وقاعدة الانسجام، وسمة الترابط النصي، بما يخدم العملية التواصلية على الصعيدين النحوي والدلالي.
لكن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فالالتزام بترتيبية التركيب النحوي فيما إذا كان جاريًا على وفق البناء الاسمي أو الفعلي لا يعني البتة عدم العدول في بعض مواطن توظيف المفردات داخله، ولا سيما ما يتعلق بالأساليب، إذ قد نلحظ العديد من مظاهر العدول والانحراف في الأساليب النحوية، منها: إنزال الخبر منزلة الإنشاء، أو إنزال الإنشاء منزلة الخبر، بما يشكّل مصداقه الانزياح في الأسلوب بشكله العام، وهذا إنَّما هو رهين الإرادات الدلالية التي يقصد إليها منشئ الخطاب. وقد لحظنا هذا بشكل لافت للنظر في التوظيفات القرآنية، في العديد من الآيات الكريمة، رغبة في تحقيق أبعاد دلالية كانت محط اهتمام الدارسين المحدثين.
من هذه المحطة على وجه التحديد جاء فكرة دراسة الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين، ليكون القرآن الكريم عينة للبحث والدارسة.
وقد شرعنا بتقسمه على قسمين أساسين، أولهما: إنزال الخبر منزلة الإنشاء، وثانيهما: إنزال الإنشاء منزلة الخبر، فوقفنا على ما يستتبع ذلك من انزياحات في الأسلوب وما يكمن فيه من أبعاد دلالية وبيانية وقف عندها الدارسون المحدثون وقفات جليلة تستحق الدراسة.

summary
Speech is carried out according to grammatical norms and synthetic uses governed by the grammatical function, which provides for the language of its correct use and for the composition the feature of consistency and harmony. On the grammatical and semantic levels.
But proving something does not negate anything else, for the commitment to the order of the grammatical structure, whether it is in accordance with the nominal or actual construction, does not mean at all not to be wrong in some areas of the use of vocabulary within it, especially with regard to methods, as we may notice many manifestations of justice and deviation in methods. Grammatical, including: lowering the predicate the status of the construction, or

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

lowering the construction the status of the predicate, which constitutes the credibility of the deviation in the style in its general form, and this is only a matter of semantic wills to which the originator of the discourse is intended. We have noticed this in a striking way in the Quranic employments, in many of the noble verses, with a desire to achieve semantic dimensions that were the focus of attention of modern scholars.

From this station in particular came the idea of studying the semantic shift in grammatical methods for modern scholars, so that the Holy Qur'an would be a sample for research and study.

We have proceeded to divide it into two main parts, the first of which is: Reducing the predicate as the construction, and secondly: Reducing the construction as the predicate.

المقدمة

اهتم الدارسون قديمًا وحديثًا بظاهرة الانزياح، واعتبروها قضية أساسية في تشكيل جمالية النصوص الأدبية، وقد أشار القدماء إليها، لكن تحت مسميات أخرى، منها: العدول، والتجاوز، والخروج عن المألوف ...إلخ.

ومنه ما ذكره ابن جني (ت٣٩٢هـ) في الخصائص عن العدول في التقديم والتأخير، قال: ((إنَّما يقع المجاز، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة))[١].

فقد أعطى القدامى القيمة الكبرى للعدول، لأنَّه يبرز ((إمكانات المبدع في استعمال الطاقة التعبيرية الكامنة في اللغة))[٢]، فهو من فنون التواصل بين المبدع والمتلقي، لإيصال رسالته إلى المتلقي بكلِّ ما فيها من قيم جمالي، فيعدل المبدع في الأسلوب عن نمط الأداء المألوف المعتاد، ليحقق ما يريده من أهداف يعجز عن توصيلها التركيب العادي[٣].

وقد عُبّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عدة، منها: الانزياح، والانحراف، والاختلال، والمخالفة، وغير ذلك[٤].

فالانزياح هو المسمّى الحديث في الدراسات الأسلوبية لظاهرة العدول، وعرّفه المحدثون بأنَّه، ((خروج عن المألوف، أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار، لغرض قصد إليه المتكلم، أو جاء عفوًا لخاطر، لكنَّه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة))[٥].

ويكاد يجمع المحدثون على أنَّ الانزياح هو خروج عن المألوف، بما يسمح للمبدع بالابتعاد عن معيارية اللغة، فهو الاستعمال المبدع للغة المفردات والتراكيب والصور، استعمالًا يخرج عمَّا هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع، وقوة جذب وأسر))[٦].

ومن أبرز أنواع الانزياح (الانزياح الدلالي)، ويُقصد به: ((إعطاء دلالة مجازية للفظة، وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح، حيث يتم فيه استبدال المعنى الحرفي المعجمي بالمعنى المجازي الإيحائي فيتم التحول من المدلول الأول إلى المدلول الثاني؛ ومن المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي))[٧].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

إذًا هو الابتعاد عن الدلالة الأولية للمفردة بخرق معيارية اللغة، وإنشاء علاقات جديدة متلائمة بين الدلالة الأولية والدلالة المنزاح إليها.

وعرّفه الدكتور طارق بولخصايم: ((بأنَّه خروج الدوال عن مدلولاتها فتختفي – نتيجة لذلك – الدلالات المألوفة للألفاظ لتحل مكانها جديدة غير مألوفة))[٨].

فهذا الانزياح على مستوى دلالة اللفظة أو التركيب – وإن كنا لا نوافقهم الرأي في اختفاء الدلالة الأولية وهذا ما سيتضح من خلال البحث – أمَّا بحثنا فهو في الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية، وهو كما في الإيضاح ((وقوع الخبر موقع الإنشاء أو وقوع الإنشاء موقع الخبر))[٩]، أو هو ((تعبير عن الخبر بلفظ الإنشاء، وعن الإنشاء بلفظ الخبر))[١٠].

وهذا الانزياح في دلالة الأساليب النحوية

أسلوب كثير في الاستعمال ومن الفنون البلاغية التي يؤتى بها لتوخي معانٍ لطيفة، ولا يتفطن لها إلَّا من له حظ من العربية وفنونها، قال السكاكي (ت٦٢٦هـ): ((اعلم أنَّ الطلب كثير ما يخرج على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلَّا لتوخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا، ولا يعض فيه بضرس قاطع، والكلام بذلك متى صادف متممات البلاغة اختر لك عن السحر الحلال ما شئت))

فالجملة الخبرية تختلف عن الجملة الإنشائية، فالأولى لها وجود خارجي قبل النطق بها، لذلك احتملت الصدق والكذب، فإن كانت مطابقة للواقع أو محتملة الوقوع فهي خبر صادق، وإذا كانت مخالفة فالخبر كاذب، كقولك:" الشمس طالعة"، فإن ثبت طلوع الشمس في الخارج فالخبر صادق، وإن لم يثبت، أي: لم تطابق النسبة الكلامية النسبة الخارجية فالخبر كاذب.

أمَّا الجملة الإنشائية فليس لها وجود خارجي، إنَّما يكون وجودها بعد النطق بها، فأنت تنشئها إنشاء كأسلوب الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، وغيرها، وقد أدرجها الدارسون تحت مسمى الإنشاء الطلبي، وكأساليب الإنشاء غير الطلبي كالتعجب المدح والذم ... وغيرهما.

فالتنوع بين أسلوب الخبر وأسلوب الإنشاء من خصائص أسلوب القرآن الكريم، كما لاحظنا ذلك من خلال المعاني والأغراض التي يفيدها كلٌّ أسلوب، فالمتكلم إذا أراد أن يحرك مشاعر المخاطب، ويثير فيه الفكر والوجدان وتنشيط العقل فإنَّه يلجأ إلى الأساليب الإنشائية في بيان المعاني التي يقصدها، وإذا أراد أن يسرد الأخبار والإعلام عمَّا يجري في الواقع فإنَّه يلجأ إلى الأسلوب الخبري.

ولكنَّه في بعض الحالات يخرج المتكلم عن هذا المألوف، فتجده يعبِّر بأسلوب الخبر في موضع الإنشاء، وكذلك يعبِّر بأسلوب الإنشاء في موضع الخبر، وذلك لأغراض بلاغية، ومقاصد بيانية يطلبها المعنى، ويبتغيها المتكلم، مراعياً في ذلك حالة المخاطب، وقرائن الحال والسياق، والذي يكون عنصراً بارزاً في بيان معاني الأساليب، وهذه الظاهرة تُعدُّ من باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والذي سنتناوله تحت عنوان (الانزياح الدلالي في الأساليب النحوية عند الدارسين المحدثين).

وهذا الخروج أو التعبير عن الخبر بلفظ الإنشاء ليس على مستوى تغيير في التركيب اللفظي، وإنَّما خروج في المعنى ((والقول بمجيء الإنشاء في لفظ الخبر، لا يعني أنَّ المسألة مسألة لفظ ... الأمر أدق من هذا؛ لأنَّ الذي يحدث تغيير في الحس بالمعنى والشعور به، ولو تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر))[١١].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فهو انحراف في الدلالة عن الأصل، إلى دلالة يقصدها المتكلم فيأتي بهذا الأسلوب الذي ((يؤدي إلى انحراف المتكلم من أسلوب إلى أسلوب ليدل على معانٍ ليست في الأصل ... وبهذا يختلف عن الأسلوب المباشر المعروف الذي يأخذ سماته المميزة له، والثابتة فيه، فذلك الأسلوب البلاغي يكسب الجملة أبعاداً فكرية ونفسية جديدة، تتجاوز الحدود المعروفة، والمشهور لعملية الدلالة))[١٢].

وعدَّه الدكتور الجواري التفاتاً في الخطاب، وتصرفاً في ضروب الكلام، فيه تقليب وتقلب بين الإنشاء والإخبار، ومن مزاياه وفوائده طرد الملل عن المتلقي، وبعث النشاط في نفس السامع أو القارئ، وهو يشتمل على ضرب من الإيجاز والاختصار يوحي بمعانٍ وصور تدور في الفكر المخاطب، كلما وقف يتدبر في انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، ويتمثل له ما يشبهه، أو ما يمكن تشبيهه بالحوار الداخلي الذي يشارك فيه القارئ أو السامع مشاركة إيجابية[١٣].

وتلك الدلالات والمعاني الموحية من استعمال المتكلم لهذا الأسلوب تكون دلالات تضمنية تركيبية، تجمع بين دلالة الأسلوب الأصل، وبين دلالة الأسلوب المنحرف إليه المعنى، أي: إنَّ الأسلوب الأصل تبقى دلالة صورته اللفظية وقد أشربت دلالة الأسلوب الآخر إليها، يقول الدكتور محمد أبو موسى: ((وليس من المحقق عندنا أن نطلق على هذه الصور هذه التسمية الشائعة "المعاني المجازية"؛ لأنَّنا لم نطمئن إلى أنَّها في هذه المعاني مجاز لبقاء الاستفهام قوياً وراء كل معنى من هذه المعاني))[١٤].

فمن معاني الاستفهام معانٍ خبرية، كالنفي، والتقرير، والتبكيت التوبيخ ... وغيرها، فهي لا تحل مكان الصورة اللفظية كلياً، وإنَّما تتركب معها في دلالة جديدة.

وإن كان بعض الباحثين ذهب إلى أنَّ دلالة الانزياح كلية لا جزئية، ((إنَّ الانزياح في الدلالة من الإخبار إلى الإنشاء يُعدُّ انزياحاً كلياً لا جزئياً، لأنَّ التغيير فيه يكون خارجياً شاملاً لكل دلالة التركيب من دون استثناء، وهذا الأسلوب شائع في العربية، وذلك أنَّ الجملة العربية تفرغ من محتواها "الإخباري" لتشحن مضمون إنشائي))[١٥].

نعم إنَّ التغيير خارجي، لكن للنمط الداخلي دلالته اللفظية المميزة له، والثابتة فيه تبقى لتوحي مع الدلالة الخارجية دلالة تضمنية تركيبية، ما كانت لتظهر لو جاء المتكلم بكلِّ أسلوب على معناه الأصل. وثانياً: إنَّ هذه الدلالة التركيبية (التفاؤل، والمبالغة، ومراعاة المخاطب ... وغيرها) ما كانت لتظهر لولا المزاوجة بين دلالتي الأسلوبين، ولو كانت لعمد إليها المتكلم بالأسلوب المباشر، فهي تضمينية تركيبية، وليست كلية للمعدول إليه.

وقد أشار الدكتور غالب محمد الشاويش إلى هذا المعنى بقول: ((إنَّ وضع الخبر موضع الإنشاء، أسلوب من أساليب القرآن الكريم، وهذا النوع من الأسلوب، يتضمن معنيين معنى الخبر ومعنى الإنشاء))[١٦]. لذلك نرفض مصطلح (التناوب الدلالي)[١٧].

ونجد هذا المعنى في أقوال المفسرين لقوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) [البقرة:٢٢٨].

فقوله تعالى: (المطلقات يتربصن) ((جملة خبرية في مقام الإنشاء ... وإنَّما يستعمل في مقام التأكيد والاهتمام بالمراد، وهو أبلغ من الإنشاء في الطلب والإيجاب، لظهوره في وقوع المطلوب حتى صار من شؤون المطلوب منه وليس في صيغة الأمر ما يفيد ذلك))[١٨].

فالدلالة التركيبية الناتجة عن أسلوب الانزياح أبلغ في بيان المراد، من الأسلوب المعدول إليه وأسلوب المعدول عنه.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

وتلك المقاصد والدلالات المتوخاة من إنزال الإنشاء منزلة الخبر تتبين من خلال ما أجمله القزويني (ت٧٣٩هـ) في شرح التلخيص، إذ قال: ((قد يقع الخبر موقع الإنشاء، إمَّا للتفاؤل، نحو:" زين الله في عينيك العدل والإنصاف، أو لإظهار الحرص في وقوعه، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل التفاؤل، وإظهار الحرص أو الاحتراز عن صورة الأمر، أو لحمل المخاطب على المطلوب))[١٩].

ونفصّل فوائد هذا الأسلوب ودلالاته من خلال شواهد آيات من القصص القرآني، بتقسيم أسلوب الانزياح في الأساليب على قسمين، هما:

أولاً: إنزال الخبر منزلة الإنشاء:

يقصد بهذا الأسلوب أنَّ صياغة الجملة صياغة خبرية، ولكن دلالتها دلالة إنشائية، وتؤدي وظيفة ما من وظائف الأساليب الإنشائية، وله أغراض ودلالات متعددة، منها:

١. الدعاء:

قد ينزل الخبر منزلة الإنشاء في الدلالة، وإن اتخذ صورة الخبر في اللفظ، لهدف الدعاء له أو التعجيل به، ويكون ذلك أبلغ لثقة الاستجابة[٢٠].

وتُستعمل في هذا الغرض:

أ- صيغة الفعل الماضي، كما في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد:١]. فقد خرج الأسلوب الخبري في (تبَّت) إلى معنى ((دعاء عليه بهلاك نفسه وبطلان ما كان يأتيه من الأعمال؛ لإطفاء نور النبوة أو قضاء منه تعالى بذلك))[٢١].

ب- أو بصيغة الفعل المضارع:

ومنه ما ورد في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف:٩٢].

فجملة (يغفر الله لكم) جملة دعائية، وهي خبرية لفظاً، إنشائية معنى، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (اللهم اغفر لهم)، ولكنَّه عدل إلى الخبر إظهاراً لرغبته (عليه السلام) في تحقيق المغفرة[٢٢].

وجاء الدعاء بصيغة الفعل المضارع ليفيد معنى التجدد والاستمرار، فالمغفرة متجددة لهم من الله تعالى، فلما تابوا واعترفوا بخطيئتهم، حيث أخبر الله تعالى عن توبتهم بقولهم: (وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) [يوسف:٩١].

وهذا الدعاء جاء بصيغة المضارع؛ لأنَّه جارٍ على الأصل، أمَّا إذا جاء بصيغة الماضي فيكون الدعاء للتفاؤل، والسرُّ في مجيء الجملة الدعائية (يغفر الله لكم) بصيغة المضارع هو مناسبتها لصدر الآية، وهو عفو يوسف (عليه السلام) عن أخوته والصفح عن جريمتهم (لا تثريب عليكم) فكونه صفح عنهم وتنازل عن حقه في الدنيا، فهو يدعو الله تعالى أن يغفر لهم جريرتهم في الآخرة[٢٣].

ولعل يوسف (عليه السلام) عدلَ عن الإنشاء إلى الخبر لقصد التفاؤل وإدخال السرور على أخوته لدلالة الجملة الخبرية على الأمر المفيد الدعاء، ((وهنا يكون العدول عن التعبير الإنشائي، فوله:" يغفر الله لكم " جملة خبرية خرجت لمعنى الأمر، ويكون التقدير: على الأمر" اغفر يا الله لهم "، فيوسف "عليه السلام" لقصد التفاؤل وإدخال السرور في نفوس إخوته عدل عن استخدام فعل الأمر، وجاء بالفعل المضارع، فالوظيفة الخارجية للعدول استخدام المضارع ليدل على التفاؤل النفسي في تحقيق المغفرة من الله تعالى، أمَّا الوظيفة الداخلية تكون في قصد الأمر ليدل ذلك على الحاجة الماسة لهذه المغفرة))[٢٤].

فنجد أنَّ استعمال هذا الأسلوب البلاغي أوحى إلينا بهذه الدلالة التضمنية التركيبية التي ما كنت لتظهر لولا هذا العدول في الاستعمال.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ج- أو يؤتى بهذا الغرض بصيغة الجملة الاسمية التي تبدأ بنكرة متضمنة معنى الدعاء.
ومنه ما ورد في قوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) [مريم:١٥]، فـ(سلام) مبتدأ، وساغ الابتداء به مع أنَّه نكرة تضمنه معنى الدعاء(٢٥).
وهو اسم للكلام يُفاتح به الزائر فيه ثناء أو دعاء، وسُمي ذلك سلاماً؛ لأنَّه يشتمل على الدعاء بالسلامة(٢٦). وإنَّ العرب في ألفاظ الدعاء والطلب تأتي بها نكرة، فتقول:" ويلٌ له، وسقياً لك، ورعياً؛ لأنَّ ألف الدعاء تجري مجرى النطق بالفعل، والفعل بمعنى النكرة، فـ(سلام عليكم) بمعنى: سلمكم الله(٢٧).

ح- أو بصيغ المصدر المنصوب، كما في قوله تعالى: (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) [الحجر:٥٢]، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا) [هود:٦٩]، فـ(سلاماً) مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: سلم سلاماً(٢٨).

وهذا كلُّه لأجل التأدب في الطلب من الله تعالى، وحسن الظن به، فعدل المتكلم عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر للدلالة على الدعاء، وكان أمر الاستجابة واقعاً منه سبحانه لا محالة.
ومن جمالية الانزياح في الأساليب اجتماع أشكال من الدلالات الأغراض عدة في قت واحد، فقد يحمل معنى التفاؤل معنى الدعاء والتعجيل به كما نجده في اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر، بقوله(*):

أتاني أبيت اللعن – إنَّك لمتني وتلك التي أتم منها وأنصب

فجملة (أبيت اللعن) تحية تُستعمل دعاء للملوك، وتعني (أبيت أن تأتي ما تلعن به)، واستعمالها بصيغة الماضي المثبت كأن الدعاء بها واقع لا محالة، وهذه التحية تعزز فكرة التفاؤل في نفسه، وهي تستفز المشاعر التي تؤرقه، وتبعث في نفسه الهموم، فلعل هذه التحية تكون مدعاة إلى التفاؤل بالصفح عنه(٢٩).

١. الاحتراز من صورة الأمر تأدباً واحتراماً للمخاطب:

وهذا من باب التأدب في الحديث، واللطف في القول، وهذا الأسلوب البلاغي ليس صورة لغوية معينة، وإنَّما يفهم من السياق والمقام معاً، وبغيرهما قد يضل المتلقي له، وهذه الصورة ليست مقتصرة على مخاطبة الأدنى للأعلى، بل بين المتساويين، وقد يكون المتكلم أعلى من المخاطب، كقولنا:" يمكن عرض ما ترغب فيه"، كأن المراد: اعرض رغبتك(٣٠).
ومثاله ما ورد في قصة بني إسرائيل، في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [البقرة:٨٣].
ففي قوله تعالى: (لا تعبدون إلَّا الله) خرج الأسلوب الخبري (النفي) إلى معنى الأمر، فهي ((جملة خبرية في مقام الإنشاء وهذا أبلغ في الطلب وآكد، أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له))(٣١).
وذهب بعضهم إلى أنَّ التعبير القرآني عدل عن النهي إلى الأسلوب الخبري في قوله (لا تعبدون)، أي: لا تبعدوا، فعبّر عن النهي بالنفي(٣٢).
بل، وذهب الدكتور غالب محمد الشاويش إلى أنَّ قوله تعالى: (لا تعبدون إلَّا الله) يتضمن معنى الخبر وهو نفي العبادة عن غير الله تعالى، ومعنى النهي عن عبادة غير الله، ومعنى الأمر، أي: التزموا عبادة الله، وهذا أبلغ في تحقيق المطلوب، وهو أنَّ العبادة لا تكون إلَّا لله لا لسواه(٣٣). وهذا يؤكد أنَّ الانزياح في الأساليب هو إشراب وتضمين لمعنى الأسلوبين.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

والذي يبدو أنَّ قوله (لا تعبدون إلَّا الله) أسلوب خبري أشرب فيه معنى الأمر، ليعطي دلالة أكثر مبالغة وتوكيداً في الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له، لأنَّ مجيء الخبر بمعنى الأمر هو أبلغ من صيغة الأمر المباشر؛ لأنَّ الخبر مستعمل في غير معناه، فكان المأمور أمتثل لأمر الآمر، فهو يخبر عنه بأنَّه أسرع للاستجابة(٣٤).

وذلك لأمرين:

١. إنَّ قوله تعالى: (لا تعبدون إلَّا الله) استثناء مفرغ، كما يسميه النحويون، فعند رفع أداة النفي (لا) وأداة الاستثناء الملغاة (إلَّا) تكون الجملة الخبرية (تعبدون الله)، فيكون معنى الأمر منها (اعبدوا الله)، وهو أقرب من قولهم بالنهي (لا تبعدوا إلَّا الله).
٢. إنَّ سياق الآية سياق أوامر وليس سياق نواهي (وبالوادين إحسانا)، و(قولوا للناس حسنا)، و(أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة)، فيكون معنى الأمر أرجح.

أمَّا لماذا الاحتراز عن الأمر المباشر في الخطاب فإنَّ ذلك عائد إلى أنَّ المقام مقام تذكير لبني إسرائيل بالميثاق الذي أقروا به أمام الله تعالى، (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) [البقرة:٨٤]، والله العالم.

ومن إخراج لفظ الخبر إلى معنى النهي ما جاء في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) [البقرة:٨٤].

فقوله تعالى: (لا تسفكوا دماءكم) لا: نافية، وتسفكوا: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وهذه الجملة خبر معناه النهي(٣٥).

وعبَّر الله تعالى عمَّا كان في الميثاق ألا يسفك بعضهم دماء بعض بـ(لا تسفكون دماءكم) بصيغة الخبر الدالة على النهي، عن سفك بعضهم دم بعض، إخراج بعضهم بعضاً من ديارهم، بعبارة تؤكد معنى وحدة الأمة، وتحدث في النفس أثراً شريفاً يبعثها على الامتثال إن كان هناك قلب يشعر، ووجدان يتأثر، فجعل دم كل فرد من أفراد الأمة كأنَّه دم الآخر عينه، حتى إذا سفكه كأنَّه بضع نفسه وانتحر بيده(٣٦).

ومنه مجيء الخبر بمعنى التحذير في قوله تعالى في قصة النبي صالح (عليه السلام): (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) [الشمس:١٣].

فقوله تعالى: (ناقة الله) ناقة: منصوب على التحذير، أي: احذروا ناقة الله، والتحذير هنا ليس من الناقة بذاتها، بل قتل الناقة(٣٧).

فعدل التعبير القرآني عن الإنشاء بأسلوب (التحذير) إلى الخبر الدال على الاحتراز بحذف الفعل، ليوحي بدلالة أنَّ صالحاً (عليه السلام) كان رحيماً بقومه، مرجواً فيهم، فخاف أن يمسهم العذاب من ربِّهم، فصاح بهم محذراً ملهوفاً (ناقة الله وسقياها)، فكان الخبر الموضوع هنا وضع الطلب يحمل لهفة نفسه، وشدة حرصه على نجاة قومه(٣٨).

فقصدية المتكلم في هذا العدول واضحة لإبراز المبالغة والتوكيد لحمل المخاطب على الالتزام، والخبر عنه بأنَّه سيمتثل لا محالة.

٤. إظهار الرغبة في الشيء والحرص على وقوعه:

إذا عظمت رغبة المتكلم في شيء وكثر تصوره له حتى يخيل إليه أنَّه حاصل لا محالة استعمل له صورة اللفظ الماضي؛ كأن نقول للغائب عنا: (رزقني الله لقاءك)، فكأنَّ اللقاء لديه؛ لهذا استعمل الفعل الماضي الذي يفيد ثبوت الحدث ووقوعه(٣٩).

ومنه ما يعمد به المتكلم إلى الانزياح اللغوي في إبدال أسلوب مكان أسلوب لغرض بيان أهمية المخاطب وأفضليته على غيره، كما جاء في قصة النبي موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) [طه:١٣]. فقوله تعالى: (وأنا اخترتك) على ما يعطيه السياق من قبيل إصدار الأمر بنبوته ورسالته، فهو إنشاء لا إخبار، ولو كان إخباراً لقيل: (قد اخترتك)، لكنَّه إنشاء الاختيار للنبوة والرسالة بنفس هذه الكلمة، ثم لما تحقق الاختيار بإنشائه فرع عليه الأمر بالاستماع للوحي المتضمن لنبوته ورسالته، فقال: (فاستمع لما يوحى)[٤٠].

فاهتمام الله تعالى بالنبي موسى (عليه السلام) استلزم إنزال الإنشاء منزلة الخبر ليفوح بدلالة إضافية وهي التكريم ((فيا للتكريم! يا للتكريم أن يكون الله بذاته هو الذي يختار، يختار عبداً من العبيد هو فرد من جموع الجموع، تعيش على كوكب من الكواكب هو ذرة في مجموعة هي ذرة في الكون الكبير ... وبعد إعلانه بالتكريم والاختيار والاستعداد والتهيؤ بخلع نعليه يجيء التنبيه للتلقي: "فاستمع لما يوحى "))[٤١].

٥. المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال:

يعتمد هذا على الوظيفة التي يؤديها؛ لأنَّه يحاول إيصال فكرة معينة بصيغة الخبر، والمراد منه الأمر وإنجاز مضمونه[٤٢]. ومنه ما ورد في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) [يوسف:٤٧].

فـ(تزرعون) ((خبر في معنى الإنشاء، وكثيراً ما يؤتى بالأمر في صورة الخبر مبالغة في وجوب الامتثال كأنَّه واقع يخبر عنه ... والدليل عليه قوله بعد" فما حصدتموه فذروه في سنبله" ... والمعنى: ازرعوا سبع سنين متواليات فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يهلك))[٤٣].

ويذكر صاحب تفسير المنار ((وهذا ضربٌ من بلاغة الأسلوب والإيجاز، ولا تجد له ضريباً في غير القرآن، خاطب أولي الأمر بما لقنه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دأباً مستمراً ... وإنَّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنَّه يوجد فهو يُخبر عنه))[٤٤].

٦. التوجيه والإرشاد:

وقد ورد الخبر الدال على التوجيه وتحريك الهمة والإرشاد على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) [غافر:٣٩].

فقوله تعالى: (إنَّ الآخرة هي دار القرار) أفاد الخبر هنا التوجيه والإرشاد عن طريق عرض الحساب والجزاء في الآخرة باستعمال أداة التوكيد (إنَّ) وضمير الفصل، بأنَّ القرار والمنزل الأخير هو (الآخرة) في سياق النصح[٤٥].

وبعد هذه الأمثلة القرآنية في إنزال الخبر منزلة الإنشاء وجدنا ما أوحى به هذا الأسلوب من قيم دلالية ونكت بلاغية، ومعانٍ تضمنية تركيبية، ما كانت لتظهر لولا استعمال المتكلم هذا الأسلوب البلاغي، وينكشف لنا أيضاً من تلك المعاني مدى ارتباط الأساليب النحوية بالظروف النفسية للمتكلم والمخاطب.

وهناك صور أخرى للعدول من الإنشاء إلى الخبر بالإظهار لمعانٍ طلبية في القصص القرآني، منها:

أ- الخبر بمعنى الذم:

يظهر ذلك المعنى بتحويل الفعل إلى صيغة (فعُل) بضم العين الدالة على الطباع والسجايا، سواء أ كان الضم أصلاً فيه، أم تحويلاً لقصد المبالغة، والمدح أو الذم، مع إفادة التعجب في كلِّ حال، والمدح أو الذم هنا خاص بحدود المعنى اللغوي للفعل، فإذا قلت: (كرُم الرجل سعيد) كنت مدحته بالكرم، وإذا قلت: (لؤم) كنت ذممته باللؤم[٤٦].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) [غافر:٣٥]، فـ(كبُر) هنا ملحق بأفعال الذم، مثل (ساء)؛ لأنَّ وزن الفعل (فعُل) بضم العين يجيء بمعنى (نعم، وبئس)، والكبر: مستعار للشدة، أي: مقت جدالهم مقتاً شديداً، وجملة (كبر مقتاً عند الله) خبر (إنَّ) من باب الإخبار بالإنشاء، وهي إنشاء ذم جدالهم المقصود منه كمّ فم الحق(٤٧).

في ما ذهب بعض المفسرين إلى خروج الخبر هنا إلى معنى التعجب، فقوله (كبر مقتاً) ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم، كأن خارج عن حدٍّ أمثاله من كبائر الذنوب(٤٨).

والذي يبدو أنَّ هذا العدول اللغوي أفاد (الذم مع إفادة التعجب)، فاستعمل التعبير القرآني (فعُل) لإبانة المبالغة في ذمهم؛ لأنَّهم يجادلون بغير علم، وإفادة التعجب لأنَّ ذلك الجدال جاء بعد بيان النعم عليهم من إرسال النبي يوسف (عليه السلام) في السياق السابق.

ودليل ذلك قوله تعالى: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) [الكهف:٥]، فهو ((ذم لهم وإعظام لقولهم: اتخذ الله ولداً لما فيه من عظيم الاجتراء على الله سبحانه بنسبة الشريك والتجسيم والتركب والحاجة إلى المعين والخليفة إليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً))(٤٩)، فالدلالة التركيبية واضحة من قوله رحمه الله (ذم لهم وإعظام لقولهم) ذم مع إفادة التعجب.

ب- ويُنزل الخبر منزلة الإنشاء لإفادة معنى التعجب، نحو قول تعالى في قصة النبي شعيب (عليه السلام): (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) [الأعراف:٨٩].

فقوله (قد افترينا) إنشاء في لفظ الخبر، فهو إمَّا أن يكون تعجباً خرج على مقتضى الظاهر، وأكّد بـ(قد) والفعل الماضي، والمعنى: ما أعظم افتراءنا على الله تعالى إن عدنا في ملتكم، وإمَّا أن يكون تأكيداً قسيماً لرفض دعوة الملأ إيَّاهم إلى العود في ملتهم(٥٠).

ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة:٣٠].

فجملة (قاتلهم الله) دعاءٌ مستعمل في التعجب، وهو مركب يستعمل في التعجب من عمل شنيع، والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء، أي: قاتلهم الله قتلاً شديداً، وجملة التعجب مستأنفة كشأن التعجب(٥١).

فانظر إلى أبرز خصائص هذا الأسلوب (الانزياح) وهي الدلالة التضمنية التركيبية، في قول ابن عاشور، جملة (قاتلهم) خرجت من الخبر إلى الإنشاء لإفادة معنى (الدعاء المستعمل في التعجب).

ومن هنا نخلص إلى أنَّ لا يمكن الاعتماد على صيغة الخطاب أو الجملة في تحديد نوع الأسلوب وبيان دلالته، من دون النظر إلى قصدية المتكلم وإرادته، وأحوال المخاطب وظروفه، وملابسات الحال، ومقتضيات المعنى والسياق، فالخبر لا يمكن في كونه خبراً صيغة القول ونظامه، بل لا بدَّ من أن يكون المتكلم مريداً للإخبار به عمَّا هو خبر عنه، وكذلك الإنشاء، وذلك ينتج لنا دلالات ووظائف بيانية جديدة.

فخروج الأسلوب الخبري إلى آخر إنشائي (الذم، المدح، الدعاء، التعجب) يفيد المبالغة والشدة في دلالة مقاصد المتكلم، وهي الفيصل في تحديد نوع الأسلوب، وخلق البنية الجمالية لهذا الأسلوب تخلق العناصر المكونة لها فنياً في نطاق الوظائف التي يؤديها، ففي هذه البنية تنصهر الذات الفاعلة؛ ليتحد الهدف مع المقام، وهما يتجاوبان مع التوترات النفسية المتعددة(٥٢).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ثانياً: إنزال الإنشاء منزلة الخبر:

هذا الأسلوب البلاغي معاكس تماماً في أنماطه اللغوية للأسلوب السابق، ولكنَّه مثله لم يخلق للمعاني الثانوية، وإنَّما وضع لأغراض مقصودة وأولية ظاهرة وباطنة، جلية وخفية، وهو كذلك أسلوب يمنح الجملة الإنشائية دلالات جديدة في معرض الانزياح اللغوي، ويعبر عن عظمة العمق الذي تقوم عليه في أهدافها(٥٣).

فقصدية المتكلم معيارٌ مهم في تحديد دلالة الأسلوب، وذلك لا يعني أنَّ للمتكلم الحرية المطلقة في أن يختار أي أسلوب يريد، ليخبر به عن أغراضه، وإنَّما ينبغي مطابقة كلامه لمقتضى الحال(٥٤).

ومقتضى الحال هو ((السبب الداعي إلى هذا التعبير دون غيره في مطابقة الحال الموصوف أو واقعه المشاهد أو صورته المعلنة، أو المتخيلة في الحديث أو الحوار أو النقاش أو التعليق أو الاستدراك))(٥٥).

فلا بدَّ من ((أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها ومناسباً للموقف الذي يتحدث فيه))(٥٦).

ومن هنا كان إنزال الإنشاء منزلة الخبر دالاً على أهداف وأغراض من أبرزها:

١. إظهار العناية بالشيء والاهتمام به:

يرتبط هذا الأسلوب بالوعي الكامن في ذهن المخاطب كما يتصوره المتكلم، ليضبط فيه القدرة على التحكم بالغرض والعناية به، لعظيم أمره وجليل شأنه، فالأسلوب اللغوي البلاغي في هذا المقام يمنح الدلالة قيمتها الجمالية من جهة خلق النسيج المتجانس بين التجربة الشعورية للمخاطب وبين الوظيفة المختزنة للغايات(٥٧).

فالمتكلم يؤتي بالتركيب النحوي مصوراً به حالته النفسية ومشاعره الداخلية، بعد أن عرف المخاطب وأحواله، وما يحيط به، وكلما كانت الرغبة والاهتمام أكثر إلحاحاً وأشد تعلقاً بالنفس اختار أسلوباً يفصح عن ذلك بأقوى الدلالات وأشدها تأثيراً ((لأنَّ الجملة بثباتها المتعلقة بالصياغة هي في الحقيقة حالة ذهنية، أو خطرة من خطرات النفس، وخصائص الأحوال الروحية وملامحها وثباتها دقيقة جداً))(٥٨).

ومن أمثلة وضع الإنشاء موضع الخبر للاهتمام والعناية ما ورد في قوله تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [هود:٤١].

فجملة (اركبوا فيها) عطف على جملة (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) [هود:٤٠]، أي: قلنا له ذلك(٥٩).

فالمقام إخبار وجيء به للعناية بأمر نوح (عليه السلام) ومن معه، ولإظهار الاهتمام حوّل صيغة التعبير من أسلوب إلى أسلوب(٦٠).

ومنه ما ورد في دلالة الأمر على الخبر للمبالغة والاهتمام ما ورد في قوله تعالى: (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ) [طه:٣٩].

فقوله: (فليُلقه) أمرٌ معناه الخبر، بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها(٦١).

ولام الأمر في (فليلقه) دالة على أمر التكوين، أي: سخرنا اليم، لأن يلقيه بالساحل، ولا يبتعد به إلى مكان بعيد، والمراد بالساحل معهود، وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة(٦٢).

فانزياح التعبير القرآني من الإنشاء إلى الخبر للدلالة على العناية والاهتمام بموسى (عليه السلام) من الله تعالى في هذه الآية، والذي يدل عليه السياق السابق، بقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) [طه:٣٧]، واللاحق بقوله تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه:٣٩].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فالمتكلم يحرص على الانزياح في النسق التعبيري ليبرز لطائف بلاغية، وأغراضاً دلالية لا تكمن في الأسلوب اللغوي الذي يقتضيه المقام الخبري(٦٣).

ومن هذه اللطائف البلاغية والمعاني الدلالية نجدها في الغرض الثاني من مواضع إنزال الإنشاء منزلة الخبر.

٢. التبكيت:

هو المبالغة في التعنيف واللوم وجهاً لوجه، ويثبت هذا الأسلوب مدى التأثيرات العاطفية التي يتركها في صميم النفوس، فهو ليس مجرد وسيلة لنقل رسالة من الرسائل، إنَّه ينحرف عن طبيعته المباشرة ليلبي هدف التبكيت، كما يتوخاه المتكلم وفق حال المخاطب ومقامه، إنَّه أسلوب يجمع جملة من العناصر الجمالية التي تستجيب لعواطف المتكلم ومقاصده،، وترسي هدفاً ما عند المخاطب وهي تخاطب عواطفه قبل قلبه(٦٤).

ومن أمثلته انزياح المتكلم من الأسلوب الإنشائي (الاستفهام) إلى الإخبار ودلالة (التبكيت) في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ) [الشعراء:٩٢-٩٣].

والاستفهام في (أين ما كنتم) و(هل ينصركم) يراد منه التبكيت والتحسر على ما كانوا يعبدون من الأصنام، فاستفهم عن تعيين مكانهم بـ(أين) أو عن عملها إن كانت حاضرة في هذا الموقف، تنزيلاً لعدم جدواها في ما كانوا يأملونه منها منزلة العدم تهكماً وتوبيخاً وتوقيفاً على الخطأ(٦٥).

فهدف التكلم من العدول في الأسلوب إظهار التبكيت بالمخاطبين، واستثارة ما في أنفسهم من ضعف وعدم قدرة على الإجابة؛ لأنَّ السؤال هنا لا يتوقع له جواب. وسرُّ بلاغة هذا الخروج في الأسلوب إلى أسلوب آخر إظهار التهكم بهم حتى يلتفتوا إلى ما هم فيه من المهانة والذلة، فيقلعوا عن عنادهم وتكبرهم(٦٦).

ومنه قوله تعالى على لسان فرعون حين حاوره موسى (عليه السلام) لإثبات مهامه بالآيات البينات بأنَّه رسول من رب العالمين: (قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف:١٠٦].

فقول فرعون لموسى ((إن كنت جئت بآية من ربك كما تدعي فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك في دعواك، قال ذلك على سبيل التعجيز لموسى))(٦٧).

فالأمر (فأتِ) خرج إلى معنى الخبر للدلالة على التعجيز والتبكيت؛ لأنَّهم عاجزون عن أداء ما قام به موسى (عليه السلام) بتعزيزات من رب العالمين(٦٨).

ومثله قوله تعالى في إنزال الإنشاء منزلة الخبر: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) [سبأ:١٧].

فقوله تعالى: (وهل نجزي إلَّا الكفور) كأنَّه سبحانه قال:" للكافر وحده العذاب"، فالتأكيد هنا جاء على تبكيته وإدخاله النار، ولكي يصل إلى هذا الهدف أنزل الإنشاء منزلة الخبر حتى لا يحتمل أمراً آخراً؛ لأنَّه ثابت عليه ولا تبديل له، فالمقام للخبر والأسلوب المستعمل أسلوب إنشاء لا يحتمل الصدق أو الكذب(٦٩).

٣. التحاشي والاحتراز من مساواة اللاحق بالسابق:

تنماز اللغة العربية بعدد من الأساليب البلاغية باختلاف المقاصد كما تختلف صياغة كل جملة بما يتجه إليه المضمون، وقد لاحظت العرب أنَّ الكلام يكون بمقدار الحاجة إليه، ولهذا وجدت أساليب الإطناب، والإيجاز، والمساواة(٧٠).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ولكنَّ الاحتراز من المساوة هنا يصبح وسيلة بلاغية وهدفاً في وقت واحد، فالمتكلم يحرص على ألَّا يتساوى معنيان في الدلالة، ولهذا يلجأ إلى تغيير صياغة الجملة، فيجمع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي في الصياغة، وإن كان المقام مقام إخبار(٧١).

ومثّل لذلك الدكتور بسيوني فيود والدكتور حسين جمعة بالحوار بين هود (عليه السلام) وقومه في قوله تعالى: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [هود:٥٤].

إذ ذهب الدكتور حسين جمعة إلى أنَّ التعبير القرآني عدل عن لفظ الخبر (أشهدُ) إلى لفظ الأمر (أشهدوا) المنزل منزلة الخبر للمغايرة بين الخطابين، فلم يقل: وأشهدكم، تماشياً عن مساواة شهادة الله تعالى بشهادة العباد، فإنَّ إشهاد الله حقيقة، وكذلك إشهاده لهم، وإنَّما عدل إلى صيغة الأمر للتمييز بين الخطاب الإلهي وخطابه لهم لعدم المساواة بينهما، فأراد أن يعبر عن الخطاب الإلهي بصيغة الخبر، وهي أوفر من صيغة الأمر، وإن كان فيها من الدلالة إقامة الحجة عليهم(٧٢).

وبيّن الدكتور بسيوني فيود أنَّ العدول عن مقتضى الظاهر أن يقال: (إنِّي أشهدُ الله وأشهدكم) أو المغايرة بين الأسلوبين للدلالة على:

أ- إنَّ في أمرهم بأن يشهدوا ببرائته من دينهم ضرباً من التحدي الذي ينبئ بحقارة ما يعبدون من دون الله تعالى.

ب- الدلالة على أنَّ إشهاد الله تعالى على براءة هود (عليه السلام) من شركهم إشهاد صحيح ثابت، إذ جاء خبراً محققاً (إنِّي أشهد الله) وأمَّا إشهادهم فليس إلَّا تهاوناً بدينهم، ودلالة على عدم المبالاة، إذ جاء أمراً.

ج- الدلالة على تعظيم شهادة الله وتنزيهه تعالى عن أن يقرن إشهاده عزوجل بإشهادهم، في ما لو جرى الكلام على الأصل، فقيل: إنِّي أشهد الله وأشهدكم(٧٣).

والذي يبدو أنَّ قولهما بأنَّ التعبير القرآني أنزل الإنشاء منزلة الخبر في قوله (أشهدوا إنّي برئ) تهافت وقعا فيه، وإنَّما هو التفات في الخطاب؛ ليوحي إلى المتلقي بالمغايرة والاحتراز بين دلالة إشهاد الله وإشهادهم، وإنَّ الصيغة الإنشائية لم تتضمن معنى الخبر.

وقد كان للطاهر بن عاشور ما يثبت ذلك، بقوله: ((وجملة "أشهد الله" إنشاء لإشهاد الله بصيغة الإخبار؛ لأنَّ كلّ إنشاء لا يظهر أثره في الخلق من شأنه أن يضع بصيغة الإخبار، لما فيه من قصد إعلام السامع بما يضمره المتكلم، ولذلك كان معنى صيغ العقود إنشاء بلفظ الخبر ... وأتى في إشهادهم بصيغة الأمر؛ لأنَّه أراد مزاجة إنشاء الإشهاد دون رائحة معنى الإخبار))(٧٤).

وأضاف السيد الطباطبائي إلى هذين الإنشاءين في الآية المباركة إنشاء آخر، بقوله: (("إنّي برئ ممَّا تشركون" إنشاء وليس بإخبار كما هو المناسب لمقام التبري، ولا ينافي ذلك كونه بريئاً من أول مرة فإنَّ التبرز بالبراءة لا ينافي تحققها من قبل، وقوله: "فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون" أمر ونهي تعجيزيان))(٧٥).

فكأنَّ الآية المباركة "أشهد الله وأشهدوا أنّي بريء ممَّا تشركون" هي كتلة إنشائية غير قابلة للصدق والكذب، فيكون رداً بليغاً محكماً لقولهم:" إن نقول: لا اعتراك بعض آلهتنا ".

٤. الترغيب في الشيء والحث عليه:

قد يخرج الأسلوب الإنشائي إلى معنى الخبر بدلالة الترغيب والتشويق، وذلك مقام يقصد فيه المتكلم ترغيب المخاطب واستمالته، ما في قوله تعالى: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) [طه:٩]، [النازعات:١٥].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فالاستفهام مستعمل مجازاً في قوله: (هل أتاك)، وهو استفهام صوري يقصد منه تشويق السامع إلى الخبر، و(هل) تدل على طلب تحقيق المستفهم عنه، فهي في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار، فالمستفهم بها يستفهم عن تحقيق لأمر[٧٦]. وهو ((استفهام للتمهيد وإعداد النفس والأذن لتلقي القصة وتمليها))[٧٧].

والغرض من عرض الحقيقة المخبر عنها بطريقة الاستفهام، الرغبة في إثارة انتباه المخاطب، ودعوته إلى التفكير، وانتظار الجواب والتشويق إليه، وفي ذلك تقدير له، وتثبيت للفكرة في نفسه[٧٨].

ويكون هذا المعنى أكثر وضوحاً في الصور البلاغية الآتية، التي يخرج فيها الأسلوب الإنشائي إلى الخبر، ومنها (التقرير).

صور وأغراض أخرى من أسلوب إنزال الإنشاء منزلة الخبر في القصص القرآني:

١. الاستفهام بمعنى الخبر

ورد الخبر بصورة الاستفهام للدلالة على معانٍ سياقية، منها:

أ- التقرير:

ومعناه أن تقرر المخاطب بشيء عنده، لكنَّك تخرج التقرير بصورة الاستفهام، وذلك لأنَّه أوقع في النفس، وأدل على الالتزام، ويكون بمعنى التحقيق والتثبيت، فالاستفهام هنا يكون إنشاء من حيث اللفظ، خبر من حيث المعنى[٧٩].

ومن الاستفهام التقريري ما ورد في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) [الذاريات:٢٤].

فالاستفهام في (هل أتاك) على معنى الخبر، للدلالة على التقرير، و(هل) بمعنى (قد)، فيجمع الأسلوب بين الطلب والإخبار، غرضه الإنجازي التقرير، فالسائل يطلب خبراً هو عنده[٨٠].

ويقول محيي الدين الدرويش إنَّ: ((الاستفهام التقريري لتضخيم الحديث ولتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب، فتقره هل سمع ذلك أم لا، فكأنَّك تقتضي أن يقول: لا، ويطلب منك الحديث))[٨١].

فمعنى التشويق والترغيب واضح في هذا الأسلوب البلاغي. وسرُّ العدول عن الإخبار إلى الاستفهام يمكن في الرغبة في حمل المخاطب على الاعتراف بعد التدبر والأناة[٨٢].

ومنه ما ورد في قوله تعالى: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) [الأنبياء:٦٢].

فهم يريدون حمله على الإقرار والاعتراف بالفاعل، وعندما يكون التقرير بالهمزة ينبغي أن يليها ما حمل المخاطب على الإقرار به، فهم هنا يقرون بالفاعل، ولذا أجابهم (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) [الأنبياء:٦٣][٨٣].

والسرُّ البلاغي هنا كما يذكر الدكتور فضل حسن عباس هو تثبيت الخبر، وتقرير المخاطب بأمر قد ثبت وتحقق عنده، دون أن ينتظر منه جواباً، فأبلغية هذا النوع من الأسلوب تعود إلى إخبار المخاطب بما ثبت عنده، ونزع الاعتراف منه[٨٤].

ومن أمثلته ما ورد في قصة النبي موسى (عليه السلام)، قال تعالى: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) [الشعراء:١٨].

فالمراد بالاستفهام هنا تذكير النبي موسى (عليه السلام) بنشأته وتربيته فيهم وحمله على الإقرار بذلك أملاً من فرعون في أن يقلع ويكف عمَّا جاء به من الله تعالى، ولكن أنّى له ذلك؟ وموسى (عليه السلام) رسول ربِّ العالمين[٨٥].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ومنه ما ورد في قوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) [الكهف:٧٥].
فكان الاستفهام (ألم) خرج إلى معنى الخبر، وهو يدل على التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد، واللام في قوله (لك) لام تبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو: "قلت له، وأذنت له"، وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوماً من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوّي الكلام، وتبلغه إلى السامع، ولذلك سُميت لام التبليغ(٨٦).
فهو تثبيت اللوم، وتحقيق القول، والمعنى لقد قلت لك: إنَّك لن تستطيع معي صبراً، وفيه تأكيد لعدم الاستطاعة بالجملة الاسمية، و(إنَّ) على التوكيد، و(لن) المؤكد للنفي، وتنكير الصبر، أي: صبراً كان قليلاً أو كثيراً(٨٧).
فتلك الدلالات البلاغية والمعاني البيانية جاءت من إنزال الإنشاء منزلة الخبر، فهذا الأسلوب جمع بين دلالة الأسلوبين في دلالة تضمنية تركيبية، هي تثبيت الفكرة في ذهن المخاطب وتحقيقها، وهذا معنى خبري، وحمل المخاطب على الاعتراف بتلك الحقيقة بعد تدبر وتفكر، وهذا معنى إنشائي.

ب- النفي:

النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستعمل لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ ممَّا اقتضاه أن يسعى إلى إزالة ذلك بأسلوب النفي(٨٨).
ولهذا الأسلوب أدواته وأساليبه الخاصة، والتي فصّلها النحويون في مصنفاتهم، ولكنَّه قد يؤتى من إنزال الإنشاء منزلة الخبر لدلالة النفي.
فقد يأتي الاستفهام بمعنى النفي، وذلك إذا صح حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام(٨٩)، ومنه ما ورد في قصة النبي صالح (عليه السلام) إذ جاء اسم الاستفهام (مَنْ) بدلالة النفي في قوله تعالى: (فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) [هود:٦٣].
فـ(من) هنا بمعنى (لا) ((لا أحد ينصرني من الله ويرفع عني عقابه في هذه الحالة))(٩٠).
وهذه الجملة جواب شرط، وهو إن كنت على بينة، والمعنى: إلزام وجدل، أي: إن كنتم تنكرون نبوتي وتوبخونني على دعوتكم، فأنا مؤمن بأني على بينة من ربي، أفترون أني عدل عن يقيني إلى شككم، وكيف تتوقعون مني ذلك، وأنتم تعلمون أنَّ يقيني بذلك يجعلني خائفاً من عذاب الله تعالى إن عصيته، ولا أحد ينصرني من عذابه(٩١).
وسرُّ التعبير في وضع الاستفهام موضع النفي أنَّ المتكلم لا يريد أن يفيد مراده من أول وهلة، ولكنَّه يريد أن ينبه السامع في صورة سؤال، ويدعوه إلى أن يبحث عن الجواب حتى يصل بنفسه، وتوحي صورة الاستفهام بثقة المتكلم واطمئنانه، وأنَّه مهما بحث السامع ونقّب، فلن يكون أمامه من سبيل إلَّا التسليم بهذه الحقيقة، وأن لا نصر إلَّا من عند الله تعالى(٩٢).

٢. الأمر بمعنى الخبر:

ويكون اللفظ أمراً والمعنى خبراً نحو ما ورد في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران:٥٩].
فإنَّ لفظة (كن) تدل على الأمر، ولكنَّ المراد بها الخبر والتقرير، والتقدير فيها (كن فيكون) أو على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو يكون(٩٣).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

و(ثم) هنا للتراخي في الإخبار لا في المخبر عنه، وإنَّما عبّر الله تعالى بالفعل المضارع (كن فيكون) مع أنَّ الأمر كان في الماضي لتصوير ذلك الأمر تصوير مشاهدة وتجسيم في أذهان المخاطبين، كأنَّه واقع الآن، ولأنَّ المضارع أظهر في التحقق والثبوت[٩٤].

ومنه أيضاً ما ورد في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [العنكبوت:١٢]. أي: إنَّهم سيحملون خطاياهم، وممَّا يستدل به على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر وقوع التكذيب بعده (إنَّهم لكذابون)، والتكذيب إنَّما يتطرق إلى الإخبار[٩٥].

أو يُنزل الأمر منزلة الخبر بدلالة الإباحة، ذكر السكاكي ذلك قائلاً: ((ومن الجهات المحسنة لا يُراد الطلب في مقام الخبر إظهار معنى الرضا بوقوع الداخل تحت الطلب إظهاراً على درجة كأن المرضي مطلوب، قال ابن كثير:" أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة[٩٦]" فذكر الأمر بالإساءة، ثم عطف عليه بلفظ أو أمر بضد الإساءة تنبيهاً بذلك على أنَّ ليس المراد الأمر الإيجاب المانع عن الترك، لكن المراد هو الإباحة))[٩٧].

والإباحة، معناه: إذا استعملت صيغة الأمر في مقام توهم فيه السامع أو القارئ عدم جواز الجمع بين أمرين، فيؤذن له بالجمع بينهما مع عدم الحرج في الترك[٩٨].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة:٥٧]. فالأمر في قوله: (كلوا من طيبات)، والمراد منه الإباحة ((أي، ليأكل كل منكم ما يشاء ويستطيبه، وسياقها يدل على وفور النعم وكثرتها))[٩٩].

ووجه حسن استعمال الأمر في الإباحة إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنَّه مطلوب، وإذا حمل أسلوب الإباحة شيئاً من التعظيم للمخاطب أطلق عليه (الإكرام)، وكأنَّ الإكرام قرين الامتنان. فجمالية هذا الأسلوب تظهر في ثراء الدلالة، وتنوعها على الرغم من وجود الشكل المتماثل في الصياغة[١٠٠]. فالإباحة في الآية المباركة جاءت لتوحي بدلالة التكريم والامتنان على بني إسرائيل.

٢. التحضيض بمعنى الخبر:

قد يخرج التخصيص إلى الخبر بدلالة التوبيخ أو النفي، إذا جاء بعد أداة التخصيص فعل ماضٍ لفظاً ومعنى.

ومنه ما ورد في قصة النبي يونس (عليه السلام) في قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) [يونس:٩٨].

و(لولا) حرف يرد لمعانٍ منها التوبيخ، ((وهو هنا مُستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليظ؛ لأنَّ أهل القرى قد انقضوا، وذلك أنَّ أصل معنى " لولا " التحضيض، وهي طلب الفعل بحث، فإذا دخلت على فعلٍ قد فات وقوعه كانت مستعملة في التغليظ والتنديم والتوبيخ على تفويته))[١٠١].

ورجح صاحب الأمثل دلالة (لولا) هنا على النفي، فيكون الاستثناء تاماً، بقول: ((إنَّ كلمة " لولا " تعني هنا النفي على رأي بعض المفسرين، ولذلك تم الاستثناء منها بواسطة " إلَّا " وعلى هذا الأساس يصبح معنى الجملة، لم يؤمن، أي من الأقوام والأمم التي عاشت في الماضي في المدن والأماكن المعمورة أمام أنبياء الله بصورة جماعية إلَّا قوم يونس))[١٠٢].

فخروج التحضيض بـ(لولا) إلى المعنى الإخباري لدلالة التوبيخ أو النفي، إنَّما رشح من خلال القاعدة النحوية (إذا جاء بعد " لولا " فعل ماضٍ لفظاً ومعنى خرجت إلى معانٍ أخرى).

ISSN-2536-0027

أمَّا السيد الطباطبائي فكان السياق والحاكم عنده في إفادة دلالة التركيب في الآية المباركة، (فلولا كانت) فقد رجَّح دلالتها على التحضيض ولدخولها على الماضي أفادت اليأس المساوق للنفي، وذلك لدلالة ظاهر السياق على ذلك، ورفض القول بالنفي؛ لأنَّ الآية بلفظها لا تنطبق عليه بما فيه من خصوصيات، فيكون المعنى على ذلك ((هلا كانت قرية – من هذه القرى التي جاءتهم رسلنا فكذبوهم – آمنت قبل نزول العذاب إيماناً اختيارياً فنفعها إيمانها، لا ولم يؤمن إلَّا قوم يونس لما آمنت كشفنا عنهم العذاب ومتعناهم بالحياة إلى حين آجالهم العادية الطبيعية ومنه يعلم أنَّ الاستثناء متصل))[١٠٣].

ونخلص من ذلك كلّه إلى أنَّ المقاصد والأساليب أيَّاً كانت فإنَّها تثبت أنَّ إنزال الخبر منزلة الإنشاء أو العكس، إنَّما يؤدي وظيفة ما، في الوقت الذي يكسب هذا الإنزال الجملة جمالاً أخَّاذاً؛ لأنَّها كسرت القاعدة في الصياغة الرتيبة، وتحولت من شكل إلى شكل، فالصورة الجمالية الجديدة صورة انبعاث الرؤية الذاتية في تعبير شفاف خلَّاق يأخذ موقعه في نفس المتلقي كما ينبغي له بكلِّ دقة وارتياح[١٠٤].

ويبدو ممَّا تقدم أنَّ استعمال الخبر في موضع الإنشاء، والإنشاء في موضع الخبر استعمال بليغ، يؤدي غرضاً دلالياً جديداً، يجمع بين دلالة الأسلوب المبدل منه والمبدل إليه، وهذا الدلالة (التضمنية التركيبية) ما كانت لتظهر لولا هذا العدول، فللمتكلم قصد في العدول من الأمر الصريح مثلاً، إلى الخبر الدال على الأمر، لأنَّ الأمر دال على زمن المستقبل، أي وقوعه بعد زمن التكلم، أمَّا الخبر ففي الغالب يكون زمنه الماضي، وبخاصة في القصص القرآني، فيعني ذلك أنَّ الشيء المطلوب إنجازه كأنه قد حصل في زمن سابق لزمن الطلب، فهذا يجعل اطمئناناً لدى المخاطب في الالتزام؛ لأنَّ المتلقي يطمئن إلى دلالة الفعل في الماضي أكثر من دلالة الفعل على المستقبل[١٠٥]، وكذلك ما نجده في الاستفهام إلى التقرير أو غيرهما، فضلاً عن الدلالات والأغراض التي ذكرناها، منها: التفاؤل، والتحرز من الأمر المباشر، والدعاء ... وغيرها.

الخاتمة:

بعد أن شارف البحث على الانتهاء فإنَّه من الواجب الوقوف على أهم ما أسرف عنه من نتائج، أهمها:

١. لم يكن مظهر الانزياح شكليًا يتوافر مصداقه على صعيد ترتيب العناصر داخل التركيب النحوي بل يمكن أن يتجسد مظهر الانزياح بما هو مظهر دلالي.
٢. إن الانزياح عن الأصل إلى ما هو خارج عنه لا يعني فقدان الدلالية الأصلية، بل تبقى مرافقة لما استتبع الانزياح من دلالات بيانية وبلاغية، بمعنى أنه يُجمع بين دلالة الأسلوب الأصل، وبين دلالة الأسلوب المنحرف إليه المعنى.
٣. يؤدي السياق الدور الفعَّال المؤثر في خلق هذا المظهر الانزياحي، فقد تتوافر العديد من المناسبات المقامية، والملابسات السياقية التي تحتم جنوح التعبير صوب الانزياح رغبة في تحصل مظاهر بيانية وبلاغية أو رغبة في إجراء التعبير بطريقة لطيفة لها وقعها في النفس تأثيرًا.
٤. تتسم المعاني البلاغية التي يخرج إليها هذا الانزياح بسمة الاعمام والشمول، بمعنى أن المعاني التي يمكن أن تُستشف عبر توظيف هذا الانزياح في الأسلوب متنوعة متعددة، تبلغ العشرات ولا تقتصر على معنى دون آخر.
٥. لم تكن المعاني البلاغية التي من الممكن تحصلها عبر الانزياح في الأسلوب محل اتفاق تام بين الدارسين المحدثين، بل تنوعت أقوالهم واختلفت نظراتهم فيما يمكن أن يستشفوه من هذا الانزياح أو ذلك، وهذا قد يعود إلى ما للتعبير القرآني من قوة في اكتناز الدلالات التي لا تنفد.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

الهوامش

(١) الخصائص: ٢٦٣، وينظر: دلائل الإعجاز: ٣١٤.
(٢) جدلية الإفراد والتركيب: ١٨٨.
(٣) ينظر: تحولات البنية في البلاغة العربية: ٢٩٣.
(٤) ينظر: الأسلوبية والأسلوب: ٩٨.
(٥) الأسلوبية الرؤية والتطبيق: ١٧٥.
(٦) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ٧.
(٧) أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات: ٥١.
(٨) أسلوبية الانزياح في المجاز اللغوي – دراسة بلاغية في القرآن (بحث): ٦٢٣.
(٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ٩٢/٣ – ٩٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٤٧/٣ – ٣٥٠، وجواهر البلاغة: ٩٣.
(١٠) علم المعاني دراسة بلاغية: ٤٢٥، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٨٠.
(١١) دلالات التراكيب: ٢٦٦.
(١٢) جمالية الخبر والإنشاء: ٣٧.
(١٣) ينظر: معاني النحو: ١٥٨.
(١٤) دلالات التراكيب: ٢١٦.
(١٥) دلالة تحول الجملة الخبرية إلى الإنشائية في النص القرآني، مديحة نصير السلامي، (بحث): ١١٨.
(١٦) العدول من أسلوب الخبر، غالب محمد الشاويش، (بحث): ١٤٠.
(١٧) ينظر: دلالة تحول الجملة الخبرية إلى إنشائية: ١١٨.
(١٨) مواهب الرحمن: ١٥/٤، وينظر: المنار: ٢٩٥/٢.
(١٩) شرح التلخيص في علوم البلاغة: ٩١.
(٢٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٣٨، وأساليب المعاني: ٣٦.
(٢١) ينظر: الميزان: ٣٨٤/٢٠، والتحرير والتنوير: ٦٠١/٣٠.
(٢٢) ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ٢٥٠، والميزان: ٢٣٧/١١، وخصائص التراكيب ودلالاتها: ٥٨.
(٢٣) ينظر: العدول من أسلوب الإنشاء إلى الخبر: ١٣٥.
(٢٤) بلاغة إنزال الإنشاء منزلة الخبر، تيسير النسور، محمد صوالة، (بحث): ٩١٠.
(٢٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٢٦/١١.
(٢٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٧/١٦.
(٢٧) ينظر: نظرات لغوية في القرآن الكريم: ٢٢٥.
(٢٨) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٩/١٤.
(*) ديوان النابغة الذبياني، البيت من مطلع قصيدة (أتاني أبيت اللعن): ٢٣.
(٢٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٣٩ – ٤٠.
(٣٠) ينظر: المطول: ٤٣٣/٣، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٣، وجمالية الخبر: ٤٠.
(٣١) التحرير والتنوير: ٥٨٢/١، وينظر: مواهب الرحمن: ٣٧٠/١.
(٣٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٣٧/١، والجملة العربية والمعنى: ١١٨.
(٣٣) ينظر: العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر: ١٣٢.
(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٥/١.
(٣٥) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٨٢/١، وإعراب القرآن وبيانه: ١٣٨/١.
(٣٦) ينظر: المنار: ٣٠٨/١، وزهرة التفاسير: ٢٩٥/١، وأساليب المعاني: ٤١.
(٣٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٩/٢٠، ومنة المنان في الدفاع عن القرآن: ١٧٠/٢.
(٣٨) ينظر: خصائص التراكيب، محمد أبو موسى: ٢٨٦.
(٣٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٢، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٣، ومن بلاغة النظم العربي: ١٤١/٢.
(٤٠) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٩/١٤.
(٤١) في ظلال القرآن: ٢٣٣١/٤.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

(٤٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤١، وأساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين: ٢٠٥.
(٤٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٨٩/١١، ينظر: أساليب الطلب: ٢٠٤، وأساليب المعاني: ٣٣.
(٤٤) تفسير المنار: ٢٦٣/١٢، وينظر: تفسير المراغي: ١٥٥/٢.
(٤٥) ينظر: خصائص التراكيب ودلالاتها: ٥٧.
(٤٦) ينظر: حاشية الصبان: ٥٥/٣، ومعاني النحو: ٢١٥/٤.
(٤٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٤.
(٤٨) ينظر: صفوة التفاسير: ٩٤/٣، وتفسير المراغي: ٦٩/٢٤.
(٤٩) الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٩/١٣.
(٥٠) ينظر: تفسير المنار: ٥/٩.
(٥١) التحرير والتنوير: ١٦٩/١٠، وينظر: زهرة التفاسير: ٣٢٧٩/٦.
(٥٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٢.
(٥٣) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٣، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٣.
(٥٤) ينظر: أثر القصدية في توجيه الأحكام النحوية، حيدر جاسم جابر، (أطروحة): ٢٤٥.
(٥٥) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق: ٦٥.
(٥٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٤٧.
(٥٧) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٣، ومن بلاغة النظم العربي: ١٤١/٢.
(٥٨) دلالات التراكيب: ٢٦٧.
(٥٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٣/١٢.
(٦٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
(٦١) ينظر: صفوة التفاسير: ٢١٤/٢.
(٦٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٦/١٦، والميزان في تفسير القرآن: ١٥٠/١٤.
(٦٣) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
(٦٤) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤، وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨٠، وبلاغة النظم العربي: ٧٧/٢.
(٦٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥١/١٩، وصفوة التفاسير: ٣٥٣/٢.
(٦٦) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٧٩/٢.
(٦٧) صفوة التفاسير: ٤٢٩/١.
(٦٨) ينظر: خصائص التراكيب ودلالاتها: ٧٥.
(٦٩) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٤.
(٧٠) ينظر: تحرير التحبير: ١٩٨.
(٧١) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٥، ومن بلاغة النظم القرآني: ٢٥٢.
(٧٢) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٥.
(٧٣) ينظر: من بلاغة النظم القرآني: ١٧٩، والمنار: ٩٨/١٢، وتفسير المراغي: ٥٠/١٢.
(٧٤) التحرير والتنوير: ٩٩/١٢.
(٧٥) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/١٠.
(٧٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٣/٣٠ – ٧٤.
(٧٧) في ظلال القرآن: ٣٨١٤/٦.
(٧٨) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٦/٢.
(٧٩) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١، ومن بلاغة القرآن: ١٢٧.
(٨٠) ينظر: التعبير القرآني في قصص الأنبياء: ٤٢٣.
(٨١) إعراب القرآن وبيانه: ٣١٥/٩.
(٨٢) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٧.
(٨٣) ينظر: دلالات التراكيب: ٢٢٥، وعلم المعاني دراسة بلاغية: ٤٠١.
(٨٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١ – ١٩٢.
(٨٥) ينظر: المعاني دراسة بلاغية: ٤٠١، والبلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

(٨٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/١٦.
(٨٧) ينظر: زهرة التفاسير: ٤٥٦٤/٩، البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩١.
(٨٨) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٦.
(٨٩) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٥/٢، وجمالية الخبر والإنشاء: ١٤٨.
(٩٠) تفسير المنار: ١٠٢/١٢.
(٩١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٢/١٢، والميزان في تفسير القرآن: ٣١٢/١٠.
(٩٢) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٥/٢ - ١٢٦، وأساليب المعاني: ٨٢.
(٩٣) ينظر: أساليب المعاني: ٦٠.
(٩٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٣٢٥/٥، وزهرة التفاسير: ١٢٥١/٣.
(٩٥) ينظر: أساليب المعاني: ٦٠.
(٩٦) البيت لكثير بن عبد الرحمن المعروف بـ(كثير عزّة)، من قصيدة (خليلي هذا ربع عزة).
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقيلة إن تقلت
(٩٧) مفتاح العلوم: ٣٢٦، وينظر: علم المعاني دراسة بلاغية: ٣٥٧، وجمالية الخبر: ١١٨.
(٩٨) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٧٣/٢، وعلم المعاني دراسة بلاغية: ٣٥٧.
(٩٩) مواهب الرحمن: ٢٩٦/١، وينظر: زهرة التفاسير: ٢٣٩/١١.
(١٠٠) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ١١٨ – ١١٩.
(١٠١) التحرير والتنوير: ٢٨٨/١١، وينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩٥.
(١٠٢) الأمثل في تفسير القرآن: ٤٣٦/٦.
(١٠٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٢٥/١٠، وينظر: في ظلال القرآن: ١٨٢١/٣.
(١٠٤) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ٤٧.
(١٠٥) ينظر: معاني القبول والرفض في القرآن الكريم، فضيلة عبد العباس الأسدي، (أطروحة): ١٢٧.

المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة
القرآن الكريم
- أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
- أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبد الله خضر محمد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٣م.
- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣، (د.ت).
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص – سوريا، ط٤، ١٤١٥هـ.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب" عليه السلام "، مطبعة أمير المؤمنين "عليه السلام"، قم – إيران، ط١، ١٣٧٩هـ.
- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي، دار وائل، عمان – الأردن، (د.ط)، ٢٠٠٣م.
- البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني"، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن أبي الاصبع العدواني (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت١٣٢٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٤م.

- تحولات البنية في البلاغة العربية، د. أسامة البحيري، دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (١٣٥٤هـ)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ.
- جمالية الخبر والإنشاء – دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٥م.
- الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان – الأردن، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالد، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، (د.ت).
- خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، د. عمر إسماعيل أمين البرزنجي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- دلالات التراكيب – دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، عابدين، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ديوان النابغة الذبياني، شرح: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د.ط)، ١٩٩٤م.
- شرح التلخيص مفتاح العلوم "المطول"، سعد الدين بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيرت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٧م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- من بلاغة النظم العربي – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفه، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

❖ منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد محمد صادق الصدر، مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د.ط)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
❖ نظرات لغوية في القرآن الكريم، د. صالح بن حسين العايد، دار شبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الرسائل والأطاريح
❖ القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، حيدر جاسم جابر، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
❖ معاني القبول والرفض في القرآن الكريم – دراسة في الألفاظ والأساليب، فضيلة عبد العباس حسن الأسدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

البحوث المنشورة
❖ أسلوبية الانزياح في المجاز اللغوي دراسة بلاغية في القرآن الكريم، طارق بولخصام، (بحث)، مجلة الإحياء، المجلد: ٢٠، العدد: ٢٥، ٢٠٢٠م.
❖ بلاغة إنزال الإنشاء منزلة الخبر مثل من القرآن الكريم، د. تيسير النسور، د. محمد أحمد صوالحة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد:٧، ٢٠١١م.
❖ التعبير القرآني في قصص الأنبياء " قصة إبراهيم ولوط نموذجاً"، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، العدد: ١٦، ٢٠١٥م.
❖ دلالة تحول الجملة الخبرية إلى إنشائية في النص القرآني، مديحة خضير السلامي، دراسات الأديان، العدد: ١٨، ٢٠١٠م.
❖ العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر في نماذج من الآيات، د. غالب محمد حمود الشاويش، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد: ٦، العدد: ٢، ربيع الأول ١٤٣١هـ، نيسان ٢٠١٠م.
❖